محاضر اجتماعات تظهر ارتباك قيادة الجيش الإسرائيلي خلال الحرب على لبنان:

العملية البرية تقررت لتغطية الفشل في وقف صواريخ الكاتيوشا واحتلال بنت جبيل لم يكن له اي معنى عسكري تكتيكي ونفذ «من اجل من سيقص القصة غدا»

■ رئيس الاركان المنصرف، الفريق دان حلوتس، تحفظ بكل قوة على خطوة برية واسعة حتى مرحلة متأخرة جدا من حرب لبنان في الصيف، رغم مناشدات رفيقيه في هيئة الاركان من سلاح الجو ـ رئيس شعبة الاستخبارات، اللواء عاموس يادلين واللواء عيدو ناحوشتان. وعلى نحو مفاجىء، فان اللواءين اللذين أيدا الدخول البري الواسع في البداية ـ نائب رئيس الاركان اللواء موشيه كابلنسكي ورئيس شعبة العمليات، اللواء غادي آيزنكوت ـ غيرا موقفهما في السياق وطرحا شكوكا بشأن عملية واسعة. الفحص الذي أجرته «هآرتس» في الاسابيع الأخيرة يتيح استعادة أجزاء حرجة من المحادثات في سلسلة من اللقاءات برئاسة رئيس الاركان. وهذه صورة جزئية فقط، ولكنها تعكس سلوكا لهيئة الاركان العامة فتتخذ في هذه الاقتباسات صورة المشوشة جدا والمترددة.

يوم الاربعاء 12 تموز (يوليو) عصرا، بعد ساعات من الاختطاف، في مشاورات جرت برئاسة حلوتس، يعرض الخبيران الرائدان لهيئة الاركان لعملية برية، كابلنسكي وآيزنكوت، الخطوات اللازمة في المعركة. كابلنسكي: يا رئيس الاركان، إنتبه. عندما نقول (وهنا جاء الاسم التنفيذي لاحدى الخطط، والتي تعني غارات جوية وقصفا مدفعيا واسعا في الاراضي اللبنانية. ع.هـ وأ.ي) فعلينا أن نعرف أنه في منطقنا فور ذلك يأتي «مي ماروم» (الخطة لعملية فرق في خطوة برية واسعة في لبنان). أيزنكوت يتحدث عن استعداد لتنفيذ «مي ماروم» ابتداء من 16 تموز (يوليو). «ما أقوله هو أن نُعد للخيار. ألا ندخل اليه في مسار الاشتباكات. هذا سيفوت الأمر وسيكون خطأ».

حلوتس لا يستبعد خطوة برية ولكنه يقول: انني أراها حاصلة في نهاية هذا الاسبوع. «لا أعتزم في هذه المرحلة غير تحريك خطوة لنار مكثفة في كل الاتجاهات. ينبغي خلق التهديد والاستعداد لتنفيذ خطوة برية، ولكن برأيي هذا ليس في نهاية هذا الاسبوع».

في 15 تموز (يوليو)، تقويم جديد للوضع. هيئة الاركان بعد نجاح الحملة اللامعة التي دمر فيها سلاح الجو معظم شبكة صواريخ فجر للمدى المتوسط لدى حزب الله. وفي ضوء الرضى من نتائج الحملة التي أُعدت جذورها منذ عهده في سلاح الجو، يعود حلوتس الى التمسك بما يعرفه ويثق به: القدرة الجوية. «ما تبقى الآن»، يقول رئيس الاركان لضباطه الكبار «هو خرائب بيروت. والآن سنركز جميعنا، كل الجيش الاسرائيلي في صيد الكاتيوشا. اذا كانت هناك حالة طقس جيدة غدا، فكل هيئاتنا تنقض على جنوب لبنان. سيكون ظل على جنوب لبنان».

أيزنكوت يقترح اتخاذ خطوات برية أولية، محدودة: «اجتياحات محدودة با الزمان والمكان، الدخول والخروج». وفي الغداة، في 16 تموز (يوليو) تطرح لاول مرة بنت جبيل كهدف محتمل للعملية. الموصي هو قائد الذراع البرية، اللواء بيني غينتس. «يا رئيس الاركان، خطاب النصر لنصر الله (في أيار ـ مايو 2000، ع.هـ) ألقي في بنت جبيل. يجب تفكيك المكان ـ هذا مكان شيعي ـ وإبعادهم شمالا. بل كنت أفكر حتى بخطوة برية محدودة على هذه المنطقة، يمكن احتواؤها».

الانشغال ببنت جبيل من المتوقع ان يأخذ من الجيش الاسرائيلي زمنا كبيرا، وبعضه سيأتي على حساب معالجة المشكلة الأكثر حدة، الكاتيوشا. وجاءت الخطوة رغم استياء الكثيرين في هيئة الاركان، بمن فيهم قائد المنطقة الشمالية أودي أدام ونائبه ايال بن رؤوفين. رئيس الاركان السابق، موشيه بوغي يعلون، أكثر من الحديث عن أهمية «كي الوعي» في الجانب الخصم. وفي حرب لبنان الثانية، يتبين، بأن الكي كان عندنا. الانشغال بضرب الرموز يتكرر طوال المعركة. وحقيقة أن المدينة الشيعية ظهرت كشرك دموي ولواء غولاني تكبد هناك ثمانية قتلى في صباح 26 تموز (يوليو)، عززت فقط الدافع لدى الجيش الاسرائيلي للنبش في الجرح.

عملية برية؟ لنعش ونر.

في 18 تموز (يوليو) يعقد حلوتس «منتدى كبار المسؤولين في موضوع تحقيق أولي للحرب». رئيس شعبة العمليات، العميد سامي ترجمان، يعرض بدائل لخطوات محتملة وبينها مي ماروم». خطط الحد الأقصى هي «مي ماروم» ـ وأنت رفضتها، يقول ترجمان لحلوتس. «نحن لا نرى هذا الخيار». حلوتس: «انني أتبنى نهج رئيس شعبة العمليات (أيزنكوت) لعمليات صغيرة. واذا لم يتم هذا من قبل القيادة، فانني سآخذه وأنقله الى مسؤولية هيئة الاركان». خلاصة تقويم الوضع في هيئة الاركان في ذاك اليوم: «رئيس الاركان لا يرى حاليا خطوة برية واسعة النطاق». وبالتوازي، في الاسبوعين الأولين للحرب، بالتدريج، يتحقق تغيير في موقف كابلنسكي وأيزنكوت. فاذا كانا في 12 تموز (يوليو) دفعا نحو خطوة مرتبة، متعددة المراحل في نهايتها دخول واسع، فانهما يطلبان الآن مثل حلوتس التركيز على خطوة خطوة، لنحيَ ونر.

في 26 تموز (يوليو) دخلت الحرب اسبوعها الثالث. في ذاك الصباح، تأتي الأنباء الشديدة من بنت جبيل. لدى حلوتس تنعقد مشاورات في موضوع أهداف العملية. الأكثر حدة من بين المتحدثين في صالح الخطوة البرية الواسعة هما بالذات رجلا سلاح الجو. اللواء ناحوشتان (لحلوتس): «عليك أن تضع هذا على طاولة الحكومة. عليك أن تقول باستقامة بأنه من دون خطوة برية واسعة فاننا لن نتمكن من إزالة تهديد الكاتيوشا. واذا لم تصادق الحكومة، فينبغي القول بوجوب وقف الحملة الآن. وحقيقة ان الحرب بين الجيش الاسرائيلي وحزب الله، سيكون ممكنا تصويرها كتعادل، لنقل هكذا: من ناحيتنا، التعادل هو خسارة ـ ومحظور علينا أن نخسر. يجب أن نقول للقيادة السياسية بأننا لا يمكننا أن نقلص أكثر مما يوجد الآن (نار الكاتيوشا)، إلا اذا احتلينا حتى الليطاني. أنا لا أفهم ماذا نفعل على المستوى التكتيكي. اذا ما هو الانجاز؟ ماذا نريد؟».

اللواء أودي أدام، الذي يشارك في الحديث من خلال مؤتمر فيديو، يحاول حث خطوته، التي تستند الى منطقة أمنية خاصة (البراميتر) المحاذية للمنطقة الأمنية القديمة وتشكل «خشبة قفز» للسيطرة حتى الليطاني، حسب خطة «مي ماروم». ويقول أدام: «يا رئيس الاركان البراميتر أكثر جدية بكثير من الذهاب الى بنت جبيل أو الى أي نوع من هذه الاماكن. أنظر، اتفقنا على ألا نحتل بنت جبيل، أن نحتلها يعني أن نمر هناك بخمسة آلاف منزل، بيتا بيتا».

رئيس دائرة البحوث، العميد يوسي بايدتس: «اذا دخلنا في الليل الى الخيام وقتلنا ثلاثين مخربا ولم يُخدش لنا أي جندي، فلا يوجد أي تغيير في ذلك. أنا فقط أقول إن نهج الخطوة خطوة ـ ليس هو الذي سيؤدي الى الضربة الهامة لحزب الله».

حلوتس: «ماذا يعني التغيير؟».

بايدتس: «خطوة برية واسعة».

حلوتس: «أنت تنظر الى حزب الله، أنا أنظر الى نموذج غزي ـ فلسطيني واعتقد بأن خطوة، وخطوة اخرى وخطوة اخرى سيؤدي بنا الى مكان آخر، ليس شاملا، ولكن سيؤدي الى مكان آخر».

في الوقت الذي دفع فيه ضباطه، بمن فيهم خريجو سلاح الجو، باتجاه خطوة برية، بقي حلوتس متحفظا. وهو يحظى بتأييد من رئيس شعبة العمليات.

أيزنكوت: «مطلوب وسائل برية واقتحامات لنحو اسبوع في هذا الوقت، في ظل تحسين نمط العمل والتعلم من الأحداث التي نمر بها». ولا يزال أيزنكوت يعارض احتلال المنطقة. «الفارق بين البدائل (في الثاني) لا نحتفظ بأرض لبنانية. من ناحيتي، هذا عبء، وعليه، فان نمط العمل هو «اقتحامات، دخول وخروج، ما قلناه في بنت جبيل. لا يجب أن نجعل من بنت جبيل حائط المبكى. تحقق الانجاز.. (نذهب) الى مكان آخر».

يادلين: «يصعب علي ان أصدق بأن دولة اسرائيل مع.. الفرق ومع.. طائراتها غير قادرة على أن تقوم بخطوة برية تأخذ 200 نشيط بالاجمال: وتعالجهم. ليس لنا بديل إلا أن نصل الى اسبوع آخر دون أن نوقف الكاتيوشا.. في النهاية، السوريون ينظرون، الجميع ينظر، سيتعين علينا أن نفعل ذلك. لا أقول ان نفعل ذلك غدا، ولكننا ملزمون ان نفعل ذلك هذا الاسبوع».

رئيس شعبة الاستخبارات عالم بكلفة الخطوة، «ولكن في النهاية يُخيل لي أننا ندفع الأثمان بدفعات صغيرة، بدل أن ندفعها مرة واحدة بدفعة كبيرة (لحلوتس) أنظر، هذه الحرب الطويلة ليست في مصلحتنا. نحن نريد أن ننهيها أقوياء، وهذا ما لا يجري».

كابلنسكي: «أقترح عليك أن تأمر هذا المساء بتجنيد بعض الوحدات اللازمة، لانهاء الخطة التي يفترض بها أن تعرض هنا غدا، المصادقة عليها، تحديد الجدول الزمني والشروع في عملية الاعداد التي ستخدمنا في الخطوة البرية، بهذا الحجم الكبير أو ذاك».

حلوتس يُجمل: «طُرحت هنا بدائل. ما ينبغي لنا أن نفعله هو أن نضم كل البدائل معا. لا يوجد هنا بديل منتصر.. على مستوى الجاهزية علينا أن نكون جاهزين لعمل كل شيء». رئيس الاركان يعود لامكانية تشديد الغارات الجوية، بما في ذلك على ما يبدو ضرب أهداف بنى تحتية مدنية في بيروت. «أعتزم أن أضع هذا مرة اخرى على الطاولة. أنا أقول انه قبل ان نحرك الفرق، الأولي، الزهراني، الليطاني، هذا ليس مهما. يجب ان نجلب لبنان الى مكان آخر».

في 27 تموز (يوليو) يصدر رئيس الاركان تعليمات متجددة لمهاجمة بنت جبيل.

كابلنسكي: «بالنسبة لبنت جبيل أتفق مع أودي أدام في شيء واحد. لا يوجد معنى عسكري تكتيكي لاحتلال بنت جبيل (ولكن) يوجد هنا معنى آخر.. معنى الرمز وما نفعله نفعله، من اجل من سيقص القصة غدا».

أدام يختلف معه: «لا حاجة الى معركة بطولية من اجل أن نحتل هذا الثقب (بنت جبيل)».

حلوتس يقرر في صالح دخول متجدد ويرد على أدام: «بشكل مبدئي اقول لك أنت تقول انه لا توجد قصة. اذا اعتقد بأنه توجد قصة ـ وهي ليست عندهم، هي عندنا».

التردد فيما اذا كان ينبغي التوجه الى خطوة برية أوسع استمر لأكثر من اسبوع. في نهاية المطاف، عندما قرر الجيش الاسرائيلي بأن هذا هو الحل المفضل عليه، ترددت الحكومة، الى أن صادقت ـ بتأخير حرج ـ «تغيير الاتجاه 11»، تلك المحاولة للحظة الأخيرة في الوصول الى الليطاني في 11 آب (اغسطس). وعندما نضج الفهم، في المستوى السياسي ومستوى هيئة الاركان في أن «قصة» الحرب هي وقف الكاتيوشا، لا بنت جبيل ولا الرموز الاخرى، كان هذا متأخرا أكثر مما ينبغي.

في نظرة الى الوراء، يجب ان تدوي اقوال رئيس شعبة الاستخبارات يادلين في مشاورات 28 تموز (يوليو): «نحن في نقطة درك في الدائرة بيننا وبين حزب الله. الوضع ليس جيدا. حزب الله يشعر نفسه منتصرا ونحن نعتبر، عن حق أو عن غير حق، كمن لا نوفر البضاعة. اعتقد أن من واجبنا ان نغير ذلك. لدينا خمسة حتى عشرة ايام، علينا أن نبني خطة وأن نتمسك بها، أن لا نغيرها طوال الوقت، أن نسمح للقوات بالسير بالعمل. أن نقلص قليلا كمية تقويمات الوضع وأن نفعل أكثر وأن نقوم بعمل أكبر. في موضوع الكاتيوشا، نحن ملزمون بأن نُري بأنه يمكن التغلب على هذا، وإلا فانه سيطاردنا على مدى السنين. ويبدو أن هذا يمكن أن نفعله فقط من الارض. بحياتك، آباؤنا احتلوا كل البلاد العربية في ستة ايام ونحن لا يمكننا أن ندخل مع فرقتين وأن ننهي الأمر جنوبي الليطاني؟».

بعاموس هرئيل وآفي يسيسخروف
(هآرتس) 2007/1/23

جنود اسرائيليون ينقلون جثة زميلهم الذي قتل خلال اشتباكات مع عناصر لحزب الله اللبناني

طالما لا يتخذ الايرانيون خطوة حقيقية لوقف التطوير النووي

يجب تعزيز الضغط على ايران قبل فوات الأوان

■ العناوين الرئيسية في «صاندي تايمز» اللندنية، والتي تقول ان الزعيم الروحي لايران، آية الله علي خامنئي، يفكر في تغيير السياسة النووية في محاولة لتخفيف التوتر مع الغرب، هو واحد من الأضاليل والأكاذيب لقادة الحكم الايراني، وحذار علينا أن يغرينا الاعتقاد بأن هكذا هو بالفعل وجه الأمور.

هذا عمليا تكتيك جديد في الاستراتيجية الايرانية، والتي ترمي الى تضليل دول الغرب، وخلق واقع وهمي من النزاع الايراني الداخلي، وذلك من اجل تخفيف حدة الضغط الذي يمارس عليهم وكسب مزيد من الوقت لاستكمال تطوير القدرة النووية.

في عهد الرئيس السابق ايضا، محمد خاتمي، حرص الايرانيون على خلق «توتر» بينه وبين الزعماء الروحيين للدولة حول مواضيع مختلفة، مثل حقوق الانسان، وذلك من اجل أن يترك قادة الغرب السياقات الداخلية في ايران تنضج بذاتها، دون حاجة الى فرض عقوبات وتهديدات. وقد خرجت دول العالم الحر عن طورها لقيام زعيم ليبرالي ومعتدل في ايران، ومع زيارته الى الولايات المتحدة بدأ كثيرون يعتقدون بأن تطبيع العلاقات مع نظام آيات الله هو موضوع ممكن. في نظرة الى الوراء، هذا نموذج على انتهازية النظام الاصولي المسيطر في ايران منذ 27 سنة، قامع حقوق الانسان والمتحدي لمجرد وجود اسرائيل بشكل خاص، والعالم الحر بشكل عام.

الواقع هو أن ليس للايرانيين أي مصلحة أو نية للوصول الى عمق المساواة مع الولايات المتحدة والغرب. وحذار علينا أن نولي أي أهمية للتسريبات، التي تتم تحت اسم «مسؤولين ايرانيين كبار»، الى الصحافة في الغرب. هذا تضليل نفسي واضح. فاذا كان خامنئي بالفعل يستخف بأحمدي نجاد، فبوسعه أن يطرده من السلطة ولا حاجة له الى أن يدير صراعا معه عبر العناوين الرئيسية في الصحف الاجنبية.

اليوم الذي يحصل فيه الايرانيون على القدرة النووية آخذ في الاقتراب، وعندها فان قدرة الغرب على فرض الشروط ستختفي تماما تقريبا. عمليا، سنخضع جميعنا لرحمة الايرانيين في المحاولات لاقناعهم بعدم استخدامهم للقوة التي اكتسبوها.

وزيرة الخارجية الامريكية كوندوليزا رايس، أوضحت الاسبوع الماضي بأن ليس هناك أي نية للولايات المتحدة بمهاجمة ايران، وبالتأكيد تحويلها الى عراق ثانية. ويبدو أنهم في الولايات المتحدة يفهمون الخطر الكامن في تسلح ايران النووي، ولكنهم يخشون من ممارسة ضغط حقيقي على النظام الايراني، وذلك لعدة اسباب: أولا، بعد الفشل المتواصل في العراق، لا رغبة للامريكيين في فتح جبهة اخرى في الخليج. وفضلا عن ذلك، فان نواياهم في اقامة ديمقراطية في المنطقة تبدو الآن غير ذات صلة، كل رغبتهم هي إحلال الهدوء الذي يسمح للجيش الامريكي بالخروج من العراق بشكل لا يعتبر فيها فشلا ذريعا.

محظور على الغرب ان يسير ضالا وراء المعلومات الكاذبة التي يزرعها الايرانيون. وطالما لا يتخذ الايرانيون خطوة حقيقية لوقف التطوير النووي، فان على العالم أن ينطلق من الفرضية بأن «النزاع» في قيادة نظام الحكم، هو سراب. وعليه، فان الضغط على ايران يجب أن يتعزز قبل أن يكون قد فات الأوان.

الرئيس الايراني احمدي نجاد

عزري مئير
رئيس معهد في جامعة حيفا لبحوث الخليج
السفير الاسرائيلي السابق في ايران
(معاريف) 2007/1/23

ليس من حق أحد أن يشل الدولة تحت أي ظرف من الظروف

ما زال لدى اسرائيل قوة ردعية واختباء نصر الله دليل على ذلك

■ مع كل الاحترام للانتقادات الشعبية للاخفاقات والفساد، ومع كل التقدير لملاحقة سلامة المعايير والرغبة في معاقبة المذنبين، والمقالات اللاهبة في الاعلام ـ هناك ضرورة لتوجيه نداء من القلب: بالله عليكم لا تشلوا الدولة. حسنا، ليس الجميع على ما يرام، لدينا فاشلون، وليس كل شيء مثل الساعة السويسرية. ما يستلزم الاصلاح يجب اصلاحه من خلال الادارة السليمة أو عبر الانتخابات العامة عندما يأتي وقتها، هذه الانتخابات التي لا يؤيد اجراءها أحد الآن.

خلال الستين عاما من سنوات الدولة حكمتنا 31 حكومة. اقتربنا من ذروة الجمهورية الرابعة في فرنسا. الحكومة الحالية موجودة على رأس الحكم منذ ثمانية أشهر بالكاد. لن تلد أي حكومة اخرى أي شيء طيب لو حلت محلها الآن، ولن تكون قادرة على مداواة أمراضنا الأساسية التي تتأرجح بين الغطرسة وبلادة الاحساس.

صحيح أننا ننفجر من الغضب عندما نرى اللبنانيين يحتفلون باطلاق الألعاب النارية ابتهاجا باستقالة حلوتس، ونصر الله يتفاخر «بانتصاره» عبر خطاب متلفز. هو قد يؤثر على شبيبته بتصلفه وكبريائه. الا ان اختباءه خوفا على حياته هو حقيقة معروفة. كل الأحاديث عن فقداننا لقدرتنا الردعية في نظر العرب هي كلام فارغ، وأنا لا أنصح أيا منهم بتجربة قدرتنا ووضعها على محك الاختبار.

الاسرائيليون انفسهم أكبر أعدائنا في هذه المرحلة. نحن ضد أنفسنا. الجميع يتآمر على الجميع. ويلعب دور الآلهة. المستشار القضائي ميني مزوز مثلا الذي صرح بأنه سيدرس امكانية تقييد صلاحيات رئيس الوزراء في حالة ظهور أي ارتباط بين أي عمل محدد يقوم به أو التحقيق ضده في قضية بنك ليئومي.

البروفيسور امنون روبنشتاين قال في محاضرته في المركز متعدد المجالات في هرتسليا أن مزوز يُسهم من خلال اقواله هذه كجمهور من الفاسدين. الشخصيات البرلمانية تعتمد دائما على صوت الناخبين، بينما لا توجد لدينا سيطرة على الموظفين المعينين (قول روبنشتاين). بنفس الدرجة ليس مقبولا ما قاله مزوز من أن تبرئة رامون لا تضمن عودته الى وزارة العدل. لماذا، ما الذي حدث؟ مزوز لا يكتفي بخروج الشخصيات المنتخبة بريئة من المحكمة، بل هو يريدهم أن يكونوا ملائكة من السماء.

لدينا في الدولة لصوص وزعران وحتى جريمة منظمة، ولكن ليست الدولة كلها فاسدة، وليس كل قادتها فاسدين، في أقصى الاحوال هناك نواقص وعيوب في ثقافة الحكومة وعاداتها السياسية. ليس واضحا سبب تقديم حلوتس لاستقالته لرئيس الوزراء، مُخفيا ذلك عن رئيسه المباشر عمير بيرتس، ولماذا أخفى اولمرت أمر الاستقالة طوال ثلاثة ايام. ما الذي اعتقده اولمرت؟ هل فكر أن باراك سيقوم باحتلال الموقع حتى ذلك الحين، ولماذا أراد المماطلة في عملية التعيين؟ هل يعود ذلك لانه لم يرغب في «اشكنازي بيرتس» أم خوفا من الجيش؟ من هذه الناحية كان من الأسهل تعيين رائد نقي من أي شائبة كرئيس لهيئة الاركان.

على الحكومة في كل الاوضاع أن تكون جاهزة لاتخاذ القرارات الموضوعية. اولمرت ليس بحاجة الى الانتظار حتى الانتخابات التمهيدية في حزب العمل على أمل أن يقوموا بازاحة بيرتس واخلاء حقيبة الدفاع لايهود باراك. نتنياهو ليس مضطرا الى انتظار انزلاق اولمرت في قضية بنك ليئومي حتى يقوم الليكود برئاسته بالاطاحة به من دون انتخابات، خصوصا أن القرارات السياسية والأمنية لا تستطيع الانتظار الى أن تقوم لجنة فينوغراد باصدار تقريرها الأولي.

الدولة لا تستطيع أن تسمح لنفسها بأن تكون عضوا هامشيا زائدا بسبب الدسائس السياسية أو أفكار المستشار القضائي وخيالاته. هناك في الدولة فساد نكافح ضده وصولا ـ حمدا لله ـ الى رئيس الدولة. الفينوغراديون والليندنشتراوسيون هم دلالة على المجتمع الذي يرغب باصلاح نفسه. نحن نملك امتياز الغرق في أجواء الاكتئاب، لدينا الطاقة وسمو النفس لاصلاحه واتخاذ القرارات الصحيحة وتطبيقها بسرعة. لا يوجد سبب لشل الدولة في أي مرحلة من المراحل.

يوئيل ماركوس
معلق دائم في الصحيفة
(هآرتس) 2007/1/23

الشيخ حسن نصرالله

الدولة مشلولة بسبب التحقيقات ومكافحة الفساد سواء على مستوى الوزراء أو على مستوى الموظفين

■ مؤتمر هرتسليا افتتح بهجمة كبرى على الحكمة. رئيس «تيفع»، ايلي هورفيتس، قال: «أنا لا أعرف اذا كان من الواجب إقالة قائد بسبب الخسارة في الحرب، إلا أنني على قناعة أن الواجب يستلزم إقالة القائد على غطرسته وتبجحه». هل يقصد بكلامه هذا اولمرت أم عمير بيرتس، أم الاثنين معا؟ رئيس بنك هبوعليم، شلومو نحاما، قال: «هناك شعور بعدم الرضى من أداء الاجهزة السلطوية لدورها».

ركلوا الجثث السياسية والجهاز السلطوي المحطم. ركلوا رئيس وزراء يخضع لهجمة كبرى من كل حدب وصوب: تحقيق في الشرطة، ولجنة تحقيق حكومية بشأن الحرب، ومراقب الدولة والمحاسب العام وائتلاف غير فعال، وتراجع في شعبيته، واعضاء كنيست من حزبه يرغبون في استبداله.

ووزير الدفاع؟ مشغول في البقاء حتى رأسه، سواء في حزبه أو في منصبه. جهاز الأمن لا يثق به، ولا الجمهور العريض. كل طاقته موجهة نحو اتجاه واحد: تحقيق الفوز في الانتخابات التمهيدية في حزبه في أيار (مايو) المقبل.

كما ان مكانة وزير المالية، ابراهام هيرشيزون، مزعزعة. هو تلقى ضربة قاسية اثر صراعه مع يارون زليخة الذي حول نفسه الى مناضل كبير ضد الفساد. التحقيق ضد رئاسة سلطة الضرائب ألحق الضرر به ايضا، واولمرت لم يضف له قوة عندما هاجمه في قضية الأجور في بنك اسرائيل. الآن هو ينتظر الشرطة التي يفترض بها ان تحقق معه في قضية جمعية «نيل». النتيجة هي شل عمل الوزراء ووزاراتهم، ذلك لانه لا يمكن القيام بأي اصلاح كان عندما يكون وزير الدفاع ووزير المالية مشغولين في بقائهما. كل تغيير سيستوجب موافقتهما ومن ثم موافقة الحكومة، ومن بعدها الكنيست، وهي مسألة غير ممكنة اليوم.

جهازنا السياسي مريض اليوم. الأمر بدأ مع وباء التعيينات السياسية الذي التهم كل قطعة طيبة من هذه الدولة. في 1992 حاول دان مريدور التصدي لهذا الوباء، وبادر الى سن قانون يلزم العضو الحزبي بأن يتمتع بحسن سلوك خاص واستثنائي. هذا القانون تسبب في ثورة في التركيبة البشرية للاحزاب، الا ان هذا المعيار تسبب في فراغ داخل الليكود، فدخلت اليه جهات جنائية اجرامية لاول مرة في تاريخ الدولة. عائلات الاجرام والجُناة الحقيقيون تحولوا الى «جنود ميدانيين» للوزراء، وبذلك تغيرت خارطة الكنيست، ولاول مرة رأينا في كنيست 2003 ممثلين عن عائلات اجرامية واعضاء كنيست ذوي مستوى هابط بدرجة غير عادية.

من الجدير ان نضيف الى هذه العملية التآكل التدريجي في شروط تقاعد اعضاء الكنيست، وحقيقة ان المسؤولين الماهرين منهم يستطيعون ان يربحوا أكثر من خارج الكنيست. كما أن الميل الاعلامي لابراز المواقف المتطرفة والشعبوية يدفع الاشخاص ذوي الضمير منهم، مثل موشيه شاحل وعوزي لنداو واوري سابير وايلي غولدشميدت وناحوم لينغنتال، الى الخارج. وعندما تكون السياسة مريضة لا يمكن ان يأتي الخلاص إلا من اتجاه واحد: سلك الدولة. كبار المسؤولين هم الذين يمسكون بزمام الأمور عندما يكون الوزراء قيد التحقيق أو الاستبدال.

ولكن تبين ان مستوى المسؤولين الوظيفي هذا يمر في ازمة. التحقيق ضد سلطة الضرائب يشل هذا المستوى، ويخشون من اتخاذ القرارات حتى لا يتعرضوا لانتقاد المحاسب العام أو المستشار القضائي أو مراقب الدولة.

يُضاف الى هذه الظروف الوظيفية الصعبة أمور مثل تآكل الأجور والتقاعد، الأمر الذي يردع الجديدين من الانخراط، وربما يدفع البعض الآخر الى الفساد خلال عمله حتى يُعد شيئا لايامه العجاف.

التحقيقات تسيطر على أجواء العمل في الوزارات بدلا من اتخاذ القرارات المطلوبة. مكاتب الحكومة مشلولة وهي تعمل بواسطة قوة القصور الذاتي. الشعور هو أن على الموظفين «ان يطلبوا الستر» لحماية أنفسهم والعودة الى بيوتهم بسلام.

نحميا شترسلر
(هآرتس) 2007/1/23

السلطات الاسرائيلية تقوم بتغذية التوترات بين الطوائف والأقليات على مبدأ «فرق تسُد»

■ في أحيان متباعدة يتبين أن الشخصين اللذين يوجه كل منهما الاتهامات للآخر ـ يكونان على حق ـ كل وحقيقته. هذا ما حدث في التهجمات الكلامية بين عمير بيرتس وافيغدور ليبرمان. بيرتس كان مُحقا عندما اتهم ليبرمان بالعنصرية، أما اعتبار ليبرمان بيرتس «عنصريا بنفسه» فيبدو صبيانيا بعض الشيء، إلا ان الاستخدام الهزلي لتعيين غالب مجادلة ليس عملا نبيلا بشكل خاص. وهكذا تحولت اللحظة التاريخية المفترضة الى موقف محرج يشعر المواطنون العرب ايضا ببؤسه.

التوتر الذي ظهر خلال ذلك بين الدروز والعرب تجاوز المنافسة السياسية الطبيعية على مراكز القوة. هذا التوتر ايضا ناجم عن مناورات الحكم المستمرة التي تزرع الشقاق بين الأقليات وفقا لمصلحة السلطة على مبدأ «فرّق تسُد».

خسارة. هذا التعيين كان من الممكن أن يكون في هذه الفترة رسالة ايجابية، والمجتمع الاسرائيلي بحاجة اليها بدرجة كبيرة. مسلسل الأحداث المأساوية من اعمال القتل التي لا ترتبط ببعضها البعض كشف عمق الحلقة. خلال شهر تكشفت أمام الجميع كل الاحتمالات المكنة حول العداء والارتياب اللذين تشربهما الجمهور لدرجة تشويه الأفكار والمشاعر. ما الذي حدث معنا في هذا الشهر؟ قتل الصبية في كتسرين الذي تحول «الروس» فيه الى مشبوهين مباشرين من مثل اعتقال المشبوه. قتل الصبية في مسغاف الذي كان العرب مشتبهين طبيعيين فيه رغم أن هوية القاتل لم تتضح بعد. قتل المرأة العربية في حيفا الذي تنسبه الشائعات بين العرب في الشمال الى «روسي» غريب الأطوار، وقتل البدوي على يد اليهودي، الذي جاء البدوي للسرقة من مزرعته، والادعاءات في اوساط العرب بعد ذلك أنه لو كان اللص يهوديا لما قتلوه.

ليس مهما اذا كان رومان زرونوب هو قاتل الصبية تاير زادة، فالتهمة أُلقيت على الروس كلهم حتى من قبل اعتقاله. نفس الشيء يُقال عن الأحداث الأخيرة التي تُلقى فيها التهمة على جمهور بأكمله، هكذا تلقائيا ومن دون أساس واضح.

ليس كل ذلك بذنب من الحكم. التوترات العرقية والطائفية والقومية موجودة في كل مجتمع، ومَا زالت التربية والقيادة قادرة على تقليص هذه التوترات. نحن اخترنا الخيار الثاني، سواء من خلال التفرقة أو انعدام المساواة التي تُغذي العنصرية، أو من خلال التفرقة وزرع الشقاقات الطائفية على مبدأ «فرّق تسُد». ولماذا نشتكي من ميل الجمهور لوضع الوصمة على جمهور آخر اذا كانت الشرطة نفسها تُغذي هذه المشاعر؟.

وكيف يمكننا ان نتذمر وننتقد الاشتباه اليهودي الجماعي بالجيران العرب عندما تقوم الشرطة بالضغط على الزناد بكل سهولة اذا كان الشخص عربيا، وتتساهل في الاتهامات اذا كان روسيا؟ مآسي الاسابيع الأخيرة أضعفت الروابط الضعيفة التي تمسك بالنسيج الاجتماعي كله، وسخرية الجهاز السياسي ولامبالاته قد تقضي على هذه الأواصر تماما.

ليلي جاليلي
كاتب في الصحيفة
(هآرتس) 2007/1/23